

الإمام
الدكتور عبد الحليم محمود



أبو ذر الغفاري والشعر عيسى



دار المعارف

أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ
وَالشَّيْخُ عَيْتَا

الدكتور عبد الحليم محمود

أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ و الشُّيُوعِيَّةُ

الطبعة الخامسة



دار المعارف

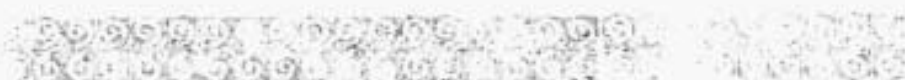
مكتبة دار المعارف

تاريخ الخرافات
في
الدين الإسلامي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
« رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا »





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين . وبعد :
فقد كنت من زمن بعيد أسمع أحاديث هنا وهناك عن أبي ذر وصليته بالشيوعية ، أو بالاشتراكية ، ودعيت - منذ سنوات عدة - لرؤية تمثيلية في التليفزيون لأبدى رأيي فيها ، فرأيت تمثيلية لا يكاد يعرف كاتبها عن الإسلام شيئاً . لقد شوهت التاريخ ، وقلبت الحقائق ، واقترت على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وأبديت رأيي إذ ذاك في صراحة تامة . . . ومنع تمثيلها . . . ولكني لم أكن أقدر أنني سأفضل بأبي ذر عن قرب ، أدرسه ، وأتأمله في حياته ، وأكتب عنه . . . ، كان ذلك بعيداً عن تفكيري كل البعد ، . . . وكنت مخطئاً .
وشاءت المقادير أن أساق سوقاً إلى معركة مع الشيوعية بسبب كلمة عابرة ، بل أقل من عابرة إذا أمكن أن يقال ذلك ، كتبها عن الشيوعية فكان الرد على هذه الكلمة العابرة أو الأقل من عابرة صفحات من الشتائم والسياب والتهجم على شخصي وعلى ما أمثله من مجال في مجتمعنا الإسلامي .
وفوجئ العالم الإسلامي بهذا الهجوم واشمأز منه ، أما أثره في نفسي فإنه لم يكن غضباً ولا ثورة ولا شتائم ولا لعنات : لقد أنزل الله على قلبي سكينه تامة ،

وغمرني شعور بالهدوء ، وسرت في أعمالى التى كنت مستغرقاً فيها وكأن شيئاً لم يحدث ، وكما شكّا الإمام ابن مشيش رضى الله عنه ، من برد الرضا ، فقد وجدت في صدرى برد الرضا هذا ، ولكنى لم أشك منه ، وإنما استغرقت في تفكير مركز في الشيوعية :

وكانت نظرة شاملة بحسب ما عندى من معلومات عنها فأرتنى أن الشيوعية تنكيل ، وتعذيب ، وقتل ، وإراقة دماء ، وسحل إذا ملكت وتحكمت ، وهى هجوم وسباب وشتائم لإسكات الأقلام والألسنة إذا لم تكن قد وصلت إلى التحكم والسيطرة .

ورأيت بعد هذا الاستغراق في موضوع الشيوعية الذى كان نتيجة الهجوم على : شتائم وسباباً دون مبرر . . . ، رأيت - من تاريخ الشيوعية الطويل - أنها من أعدى أعداء الإسلام ، كما أنها من أعدى أعداء المسيحية .

وتساءلت : لم سكت علماء الإسلام عنها ؟

لم سكت أخبار المسيحية عنها ؟

بل تساءلت : لم لم أكتب أنا عنها من قبل ؟

لم لم أجعل دراستى لها وبيانها للناس من منهجى في الإصلاح ؟

لم سكتنا عنها هذه السنوات الطوال ؟ مع أنها تسوم المسلمين خسفاً وتنكيلاً وتعادى الإسلام أفظع ما تكون العداوة ، وأقسى ما تكون العداوة : إنها عداوة ضارية .

لقد شغلنا الأعداء بخلافات ما كان ينبغى أن تكون بين المسلمين يشغلون أنفسهم بها ، تاركين الأعداء يهدمون الدين ، وينكلون بالمسلمين .

هل آن لنا أن نكف عن الحديث عن زيارة القبور ، وعن قراءة سورة الكهف ،

وعن الكتابة في الجبر والاختيار ، وعن حمل المسبحة : أهو بدعة ؟

وعن شد الرحال : وهل يتضمن النهى عن زيارة الأولياء أو لا يتضمنه ؟

هل آن لنا أن نفكر فيمن يريد أن يستأصل الإسلام من أساسه ؟ وأن يأتي عليه من القواعد ، ويعمل جاهداً على إزالته من الوجود ؟
أرجو الله أن ينه علماءنا الأفاضل ومفكرينا الأجلاء إلى الخطر الآتي من الغرب ، ومن الشرق ، ليتخذوا عدتهم لمقاومته .

وإن من أخطر ما يهددنا : الشيوعية ؛ إنها تهددنا في عقيدتنا ، وفي أخلاقنا ، وفي أموالنا ، وفي دماننا ، ولا بد من مقاومة ذلك على الصعيد القانوني ، وعلى صعيد التوعية الشعبية وال جماهيرية ؛ إن كل شخص يعلم حقيقة الشيوعية فإنه يفر منها فراره من الوباء .

وفي أثناء دراستي وبحثي الذي ساقني إليه الشيوعيون سوقاً ما كان يخطر لي على بال ، قرأت عن أبي ذر رضي الله عنه ، قرأت عنه في مختلف المراجع والوثائق ؛ فكان هذا الكتاب .

ودرست الشيوعية في استفاضة ، وكانت النتيجة كتاباً آخر عن الشيوعية نفسها يبين معارضتها للإسلام ، وقد صدرته - في استفاضة مستفيضة - بظروف وملايسات المعركة التي ساقني إليها الشيوعيون فجأة ، وما كنت أتوقعها :

وفي أثناء البحث هنا وهناك وجدت مجموعة لا بأس بها من فتاوى العلماء الأجلاء فجمعتها ، ونسقتها ، وعلقت عليها ، وأصبحت كتاباً لا بأس به ، هو الكتاب الثالث .

وأحببت أن أجعل هذه الكتب في حجم مناسب حتى تسهل قراءتها ، وحتى يتناول كل إنسان منها ما يناسبه . وما يزال في الكتابة عن الشيوعية مجال مستفيض . وأرجو الله أن يهدي بهذه الكتب وبما يتلوها وأن يهدي لها إنه سميع قريب مجيب .



وہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔

یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔

یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔

یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔

یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔

یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔

یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔ یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔

یہی ہے جو ہم نے پہلے دیکھا تھا۔



الفصل الأول

أبو ذرّ والشيوعية من زاوية العقيدة



سید احمد

عزیز القیام (مستقیم) ۱۳۰۲

۱۳۰۲

كانت « غفار » معروفة بأن من فتيانها من كان يسرق الحجيج قبل الإسلام
وكان الحجاج يمرون على « غفار » في طريقهم إلى مكة .

وما كان فتيان « غفار » يتورعون عن بعض المآثم قبل الإسلام ؛ لقد كانوا
يسIRON سيرة الجاهلية التي حاربها الإسلام إلى أن حولها إلى إسلام .
وهذا هو أبو ذر - رضى الله عنه - يمتطى صهوة جواده ، ويخرج فارساً معلماً
في جنح من الليل ؛ يذهب هنا ويذهب هناك ، حتى يستقر به المقام على الطريق .
كان يلبس ملابس الحرب ، ويخرج كأنه قطعة من فولاذ ، أو كأنه أسد هصور ،
تسرح عيناه في سكون الليل حتى تستقرا على سواد ، فينطلق إليه بفروسه كالسهم ،
ويلتحم في معركة ، وتتكشف المعركة عن غنيمة كبيرة : عشرات من الجمال والأغنام
يستاقها أبو ذر عائداً إلى موطنه :

« كان شجاعاً ينفرد وحده بقطع الطريق ، ويغير على القطيع من الجمال
أو الأغنام في عمية الصبح : على ظهر فرسه أو على قدميه ، كأنه السبع يطرق
الحى ويأخذ ما أخذ » .

ولكن هذا الفارس المغير كان يحمل قلباً به شعاع من النور ، وأخذ هذا
الشعاع يقوى حتى أصبح ضوءاً يغمر القلب ، ويتغلب على كل نوازع الشر فيه .

وحدث التحول :

وذات يوم . . . وذات يوم انتفض أبو ذر انتفاضة من أعماقه ، انقلب فيها إلى شخصية أخرى ، شخصية بعيدة كل البعد عن الجاهلية ، شخصية لا صلة لها بماضيه . . .

وهذا النمط من التحول معروف في الإنسانية ، ومعروف في عالمنا الإسلامي : ولكن انتفاضة أبي ذر لم تكن تحولاً من جاهلية إلى دين معروف ، وإنما كانت - وهذا من طرائقها - تحولاً من جاهلية إلى دين فطري : إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها ، إلى خلق لا ظلم فيه ، إلى عبادة نابعة من تقديس للخالق ! كان أبو ذر يتأله في الجاهلية ويوحد ، ولا يعبد الأصنام . ومعنى « يتأله » : يتنسك ويتعبد .

وكان أبو ذر في صفاء نفسه ، وفي نقاء فطرته ، يتجه إلى الله في صدق ، يطلب نور الهداية ، والتوجه به إلى الصراط المستقيم . . . وذات يوم : وذات يوم سمع أبو ذر عن النور أشرق بمكة ، وعن الهداية انبثقت في أرض الحرم ، وسمع بالرسالة أضاءت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالفضل الإلهي يشرق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فغمره السرور ، وهزه الشوق إلى المعرفة ، ولم يلبث أن أرسل أخاه إلى مكة ، واستعجله السفر ، ورغب إليه في أن يأتيه بالخبر في سرعة ، وأخذ ينتظر متلهفاً متشوقاً ، وجاءه أخوه ، وأعلن أن رسول الله - الرسول الجديد - يأمر بمكارم الأخلاق وقد كان هذا حقاً محور الدعوة الإسلامية :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وسأل أبو ذر عن موقف المشركين منه ؟ فقال له أخوه :

يقولون : هو ساحر ، ويقولون : هو كاهن ، ويقولون : هو شاعر !

ثم يقول أنيس :
لقد سمعت قول الكهنة ، وما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقوال الشعراء
- وكان أنيس شاعراً - فما يلتئم على لسان أحد أنه شعر . . .
ثم يقول : « والله إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون » !
ولكن ذلك لم يرو ظمأ أبو ذر إلى المعرفة ، وغمره الشوق إلى المعرفة المباشرة
بهذا الرسول الموحى إليه . . .
والنقى بالرسول :

والتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآمن ، واستقر الإيمان في أعماق قلبه
واستولى على شعوره ووجدانه ، فذهب إلى الكعبة ، ورؤوس الشرك مجتمعون ،
وعلى وجوههم علامات الكفر والشرك : قسوة ظاهرة ، وغلظة بادية ، وعدم
مبالاة بقيم أو أخلاق أو مثل ، وابتسامة ساخرة بكل ضعيف ، ونادى أبو ذر
بأعلى صوته :
« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله » !
وفوجئ الشرك بصوت يرتفع بالتوحيد ، واعتقد المشركون أن هذه إهانة
لا يمسحها إلا الدم ، فقاموا إليه ، فقاومهم ، وتكاثروا عليه ، وتنافسوا في ضربه . . .
ولقد ضرب - كما يقول - ليموت ، وأدركه العباس ، وقال لقريش :
« ويلكم تقتلون رجلاً من « غفار » ، ومتجرم وممركم على « غفار » ؟ ! وتركوه ،
ولكنه خرج من تحت أيديهم كأنه نصب « تمثال » أحمر . . . !
ولكنه فكر من جديد بعد أن ذهب إلى زمزم واغتسل : وماذا في مكروه
يصيب الإنسان في سبيل الله ؟

فعاد في اليوم التالي وصرخ بأعلى صوته :
« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله » وقاموا إليه ضرباً
إيذاء ، حتى جعلوه كأنه نصب أحمر ، وضربوه ليموت وأنقذه العباس من جديد !

هذا الإيمان القوى ، هذا النور المشتعل في القلب ، هذه الثقة المطلقة في الله
ورسوله .

هذه التضحية والاستعداد للتضحية حتى الموت في سبيل الله :
« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله » !
ماذا يقابلها في الجو الشيوعي ؟

لقد بدأ الكفر بالدين مع « ماركس » منذ ابتداء الشيوعية ! فقد قال ماركس
كلمته المشهورة : « إن الدين أفيون الفقراء » .

أى إنه يخدرهم ويعدمهم ويميتهم ، ويتحدث إليهم عن الله ، وعن الحساب ،
والنعيم في الآخرة .

وهو من هذا الجانب عامل تخدير يتم في الجو الاجتماعي .
ولقد تلقف « لينين » هذه الكلمة لكارل ماركس ، وأعلن أن هذه الكلمة
هي حجر الزاوية في الفلسفة الماركسية فيما يتعلق بالدين ، إنه يقول حرفياً :
« قال ماركس : إن الدين هو أفيون الثغراء ، وهذا هو حجر الزاوية في الفلسفة
الماركسية جميعها من ناحية الدين .

وتعد الماركسية الديانات جميعها . والكنائس ، وكل أنواع المنظمات الدينية ،
آلة لرد الفعل البرجوازي الذي يستهدف الاستغلال بتخدير الطبقة العاملة » .
وفي المقدمة التي كتبت لكتاب « لينين » ما يلي نصاً :
« الإلحاد جزء طبيعي من الماركسية لا ينفصل عنها » .

ونتابع أقوال الشيوعية عن الدين :

يقول « لونا شارسكى » الذى كان وزيراً للتعليم يوماً ما في حكومة الشيوعيين :
نحن نكره المسيحية والمسيحيين ، وحتى أحسن المسيحيين خلقاً نعدّه شر
أعدائنا - وهم يبشرون بحب الجيران والعطف والرحمة ، وهذا يخالف مبادئنا ،
والحب المسيحى عقبة في سبيل تقدم الثورة ، فليسقط حبنا لجيراننا ، فإن ما نريده

هو الكراهية والعداوة ، وحين ذلك نستطيع غزو العالم » !!
إن تبشير المسيحية أو - بتعبير آخر - تبشير الأديان بحب الجيران والعطف
والرحمة يثير الكراهية في نفس الشيوعى : إذ أنه لا يعرف إلا الحقد والكراهية
والعداوة ليستطيع - فيما يزعم - غزو العالم .

والزعيم الشيوعى لينين يعلن فى وضوح سافر عن الصلة بين الدين والشيوعية
بكلمات قليلة حاسمة ، إنه يقول :

« والماركسية : هى المادية ، وهى من ثم معادية للدين » .
أما البرنامج الذى وضع للمؤتمر الدولى الشيوعى السادس الذى عقد فى
سنة ١٩٢٨ فإنه يقول حرفياً :

« إن الحرب ضد الدين - وهو أفيون الشعوب - تشغل مكاناً هاماً بين
أعمال الثورة الثقافية ، ويلزم أن تستمر هذه الحرب بإصرار وبطريقة منظمة »
ولا يكاد « لينين » يمل الحديث عن الأديان ووجوب تحطيمها ، إنه يتحدث
عنها بمناسبة وبدون مناسبة ، ولقد كتب فى يوم خطاباً للكاتب الروسى : « مكسيم
جوركى » يقول فيه :

« إن البحث عن الله لا فائدة فيه ، ومن العبث البحث عن شيء لم تضعه
فى مكان تخبئه فيه ، وبدون أن تزرع لا تستطيع أن تحصد ، وليس لك إله :
لأنك لم تزرعه بعد ، والآلهة لا يبحث عنها وإنما تزرع ، يخلقها البشر ، ويلدها
المجتمع » . !

ومما سبق نرى :

أن الشيوعية فى العقيدة مناقضة للإسلام مناقضة تامة !

والآن نتساءل : ما هى الصلة بين أبى ذر والشيوعية ؟

والإجابة معروفة واضحة :

إنها الصلة بين الإيمان والكفر .

الصلة بين الإسلام والإلحاد !
 ما نصيب الشيوعية في أبي ذر لو علم بها ؟
 إن نصيبها منه اللعنة !
 وإن نصيبها منه العداوة إلى حد السيف !
 وإن نصيبها منه مقت المؤمن لمن يحاد الله ورسوله !
 وإذا كان هذا الموقف بالنسبة للعقيدة ، فما هو الموقف بالنسبة للأخلاق ؟
 ذلك موضوع له مكانه إن شاء الله .

وإذا كان هذا الموقف بالنسبة للعقيدة ، فما هو الموقف بالنسبة للأخلاق ؟
 ذلك موضوع له مكانه إن شاء الله .

وإذا كان هذا الموقف بالنسبة للعقيدة ، فما هو الموقف بالنسبة للأخلاق ؟
 ذلك موضوع له مكانه إن شاء الله .

وإذا كان هذا الموقف بالنسبة للعقيدة ، فما هو الموقف بالنسبة للأخلاق ؟
 ذلك موضوع له مكانه إن شاء الله .



الفصل الثاني

التزاهد



إننا نحبه : ونحب فيه الإيمان القوى الذى لا يخاف فى الله لومة لائم
ونحب إخلاصه الذى كان يحمله على النصيحة للظاعن والمقيم . .
ونحب حدته التى جعلت بعض الحكماء يتجنبونه : نحبه لأنها لم تكن
مفتعلة ، وإنما كانت طبيعة فيه ، وكانت حدة ناشئة عن قلب طاهر ، وكانت
حدة لا يتبعها شر أو سوء ، وكان إذا نبه إليها تنبه فتاب وأتاب ، من ذلك مثلاً
ما روى عن المعرور بن سود قال :

« نزلنا الريدة ، فإذا برجل عليه برد وعلى غلامه مثله ، فقلنا : ألا عملتهما
حلة لك واشتريت لغلامك غيره ، فقال : سأحدثكم :
كان بينى وبين صاحب لى كلام ، وكانت أمه أعجمية ، فقلت منها ،
فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : سابيت فلاناً ؟ .. قلت : نعم .. قال :
ذكرت أمه ؟ قلت : من ساب الرجال ذكر أبوه وأمّه .. فقال : إنك امرؤ
فيك جاهلية - وذكر الحديث - إلى أن قال : إخوانكم ، جعلهم الله تحت
أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه ، ويلبسه من لباسه ،
ولا يكلفه ما يغلبه » .

ولقد كان - كما يقول الإمام الذهبى - أحد السابقين الأولين من نجباء
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وكان كما يقول الذهبي أيضاً « رأساً في الزهد والصدق والعلم والعمل ، قوالاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم ، على حدة فيه » .

ونحبه لحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونحبه لالتزامه فروض الإسلام ونوافله .

ونحبه لفروسيته وشجاعته . .

لقد كان إيمانه ينطلق به إلى كل معركة في شجاعة نادرة . . . ومم يخاف وقد

وهب نفسه لله ورسوله ؟ يقول الواقدي :

« كان حامل راية غفار يوم حنين : أبو ذر » .

ونحب طريقة حياته من قبل النبوة ، فإن من حديثه مع عبد الله بن الصامت

قوله : « يا رسول الله ، فإني أحب أن أكون معك في كل صلاة » .

« وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث

سنتين » .

قلت : لمن ؟

قال : لله .

قلت : أين توجه ؟

قال : حيث وجهني الله ، أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت

نفسي كأني خفاء (ثوبى ملقى) حتى تعلوني الشمس .

أما قصة إسلامه فإنها طريفة ، وعنها يقول : « يا رسول الله ،

« كنت ربيع الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع ، أتيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، أشهد أن لا إله إلا الله

وأن محمداً رسول الله . . فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحديث إسلام أبي ذر - رضي الله عنه - حديث مستفيض جليل - :

روته كتب السنة الموثوق بها ، أمثال البخاري ومسلم وغيرهما .

ولقد روته هذه الكتب في زواياه المختلفة ، الثرية بالعبير والمواعظ ، وذلك أنه لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخيه أنيس : « اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم ائتنى . . . ولكن أبا ذر لم يكتف بخبر أخيه . . . فقال له : هل أنت كافئ حتى أنطلق ؟ قال : نعم ، وكن من أهل مكة على

حذر ، فإنهم قد مشنوا له ، وتجمعوا له . . . فتروود ، وحمل شئته له فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد ، فالتمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يعرفه ، واتبع نصيحة أخيه فى ألا يسأل عنه ، وأن يحذر أهل مكة ، حتى أدركه بعض الليل ، فاضطجع لينام ، فرآه سيدنا على ، فعرف أنه غريب ، فدعاه إلى المبيت عنده ، فتبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ، فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمر به على فقال :

« أما آن للرجل أن يعرف منزله ؟ وسار به إلى المنزل : لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، ومر اليوم الثالث على هذه الكيفية . . فلما كان فى البيت سأله على رضى الله عنه قائلاً : ألا تحدثنى بالذى أقدمك ؟

قال : إن أعطيتنى عهداً وميثاقاً لترشدنى فعلت ، ففعل فأخبره . . . وفى الصباح ذهباً - على حذر - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخذ أبو ذر يستمع إلى القرآن الكريم ، فأسلم فى جلسته ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

« ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » . فقال : (والذى بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم) فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : (أشهد أن لا إله إلا الله . . وأن محمداً رسول الله) .

فقام إليه الحاضرون فاشتبكوا معه في معركة حامية ، واستمروا به حتى رموه أرضاً ، فأتى العباس وأنقذه منهم . . ولكنه عاد في الغد إلى مثلها ، وعادوا إلى مثل ما فعلوه . . وأنقذه من جديد العباس ، وعاد أبو ذر إلى أخيه وأعلن إسلامه ، فأسلم أخوه ، وذهبا إلى أمهما فأعلنت إسلامها ، وأخذ أبو ذر يبشر بالإسلام في قومه ، رضى الله عنه .

. . ولقد روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جمع كثير من الصحابة ، ومن الأحاديث المشهورة الجميلة النفيسة التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

يا عبادى ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً فلا تظالموا . .

يا عبادى ، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم . .

يا عبادى ، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم . .

يا عبادى ، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم . .

يا عبادى ، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر

لكم . . .

يا عبادى ، إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . .

يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب

رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً . . .

يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب

رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً . . .

يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد

فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط

إذا أدخل البحر . . .

يا عبادى ، إنما هي أعمالكم ، أحصيتها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد

خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . . .

وعنه . . . عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« أوصاني خليلي بخمس : أرحم المساكين وأجالسهم ، وأنظر إلى من تحتى ولا أنظر إلى من فوقى ، وأن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأن أقول الحق وإن كان مرأى ، وأن أقول لا حول ولا قوة إلا بالله » . . .

وعنه قال :

« أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع :

أمرنى بحب المساكين . . . والدنو منهم ، وأمرنى أن أنظر إلى من هو دونى وألا أسأل أحداً شيئاً ، وأن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأن أقول الحق وإن كان مرأى ، وألا أخاف فى الله لومة لائم ، وأن أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها من كنز تحت العرش .

كان أبو ذر زاهداً جميلاً ، وكان يحب للناس الخير ، فكان يدعوهم إلى الزهد حتى لا يكون حسابهم على المال ثقيلاً يوم الحساب ، وذلك أن الإنسان يسأل يوم القيامة عن ماله : فيم أنفقه ؟

وكان أبو ذر يحب أن يمر المسلمون على الصراط خفافاً ، وألا يكون المال عقبة فى سبيل تيسير الحساب . . .

وكما أحب الخير لنفسه ، والتزم أن يخزن ما يكفيه وأسرته العام كاملاً وأن يتصدق بما فضل عنده ، ويفعل ذلك كل عام ، ويقتنى أعتراً ودواب يحلب منها ويشرب ، ويهب ويتصدق ، فإنه كان يحب ذلك لأصحابه

عن سعيد بن أبى الحسن .

أن أبا ذر كان عطاؤه أربعة آلاف ، فكان إذا أخذ عطاءه دعا خادمه فسأله أن يكفيه السنة فاشتراه ، أما باقى الأربعة آلاف فإنه كان يحولها إلى « فلوس » أى « فكة » ليست ذهباً ولا فضة . . . وكانت نظرة أبى ذر فى ذلك

أنه كان يبيع لنفسه أن يدخر (فلوساً) قروشاً وملاييم ، على حد تغييرنا في العصر الحاضر ليست ذهباً ولا فضة ، وإنما من معدن آخر ، وكان لا يرى في ادخار ذلك لنفسه بأساً ، ولعله إنما كان يفعل ذلك لينفق على أكبر عدد من الفقراء .

وبلغ الزهد بأبي ذر منتهاه : فعلى أسماء رضى الله عنها قالت : « إن أبا ذر كان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فرغ من خدمته أوى إلى المسجد وكان هويته » .

وحينما كان في الشام كان هو وأبو الدرداء في مظلّتين من شعر بدمشق . . ومز يوماً بأبي الدرداء وهو يبنى مسكناً في أبسط صور المساكن فضاق به أبو ذر وقال له :

ما هذا ؟ . . تعمرداراً أذن الله بخرابها ؟
وقال كلاماً آخر شديداً . .

ومع أن عطاء أبي ذر كان أربعة آلاف في العام ، وكان يقبضها ، فإنه لما مات لم يترك إلا أتانين وحماراً وأعتراً وركائب ، كما ذكر ذلك ابن أخته ، بيد أن طريقته في الحياة هذه كانت أحياناً لا تواتيه بما يحب ، فقد كان يقول :
أبطال في غزوة تبوك من عجب يعيرى . .

وعن ابن مسعود قال :

لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك جعل لا يزال يتخلف الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، إن يكن فيه خير فسيلحقكم ، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل ، يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطل بعيره ، فقال ما كان يقوله ، وتلوم (أبطل) بعير أبي ذر ، فلما أبطل عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ، وخرج يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونظر ناظر فقال : إن هذا الرجل يمشي على الطريق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذر . . فلما تأمله القوم قالوا : هو والله أبو ذر . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله

أبا ذر ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده . . .
ومع قوة أبي ذر في بدنه ، ومع فروسيته وشجاعته ، فقد قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر ، إني أراك ضعيفاً .

قال له ذلك حين طلب أبو ذر الإمارة . .

ثم نصحه صلى الله عليه وسلم قائلا :

لا تأمرن على اثنين ، ولا تولين مال يتيم .

ويعقب الإمام الذهبي على ذلك قائلا :

« فهذا محمول على ضعف الرأي ، فإنه لو ولى مال يتيم لأنفقه كله في
سبيل الخير ولترك اليتيم فقيراً . . . فقد ذكرنا أنه كان لا يستجيز ادخار النقدين ،
والذى يتأمر على الناس يريد أن يكون فيه حلم ومدارة ، وأبو ذر رضى الله عنه
كانت فيه حدة كما ذكرناه فنصحه النبي صلى الله عليه وسلم . . »

ومذاهب الناس الفردية في الحياة - ما دامت خالية من المعاصي - فإنها
مباحة للأفراد كأفراد :

ومباح للأفراد كأفراد أن ينصحوا ويبينوا العظائم والعبر في محيط هذه
الحياة ، سواء أخذ الناس بها أم لم يأخذوا . .

وإذا كان ذلك مذهب أبي ذر الذي يشبه - مع فارق الإيمان والتقوى -
مذهب زهاد الفلاسفة في العصور القديمة والحديثة ، والذي غايته هدوء البال
والراحة في الدنيا عند الفلاسفة ، والراحة في الدنيا والآخرة عند أبي ذر ،
فإن للأفراد - كأفراد - مذاهب أخرى ، وللإسلام جوه الواضح فيما يتعلق بشئون
المال . . . وستحدث عن ذلك إن شاء الله تعالى . ولكننا نحب أن نقول :
إن أبا ذر كان ينصح ويعظ : ليقبل الناس على البذل مختارين ، وما كان يدور
بخلده قط أن يقهر ويغتصب ، بل إنه لو رأى الاغتصاب والقهر لقاومه بسيفه



الفصل الثالث

أبُوذَرَّ والنظام المالي في الإسلام



Handwritten text, possibly a date or reference number, located in the top left corner.

Handwritten text, possibly a title or subtitle, located below the first line.

Handwritten text, possibly a main title or a significant line of text, located in the middle of the page.

Handwritten text, possibly a date or reference number, located in the bottom left corner.

عن الموقف الإسلامى

- وقبل أن نتحدث عن الجوامالى فى الإسلام نحب أن نقول :
- ١- إن أبا ذر - رضى الله عنه - من الذين أعلنوا فى وجه الطغاة من أهل مكة إيمانهم اليقينى بالله ورسوله ، وإنهم انهالوا عليه ضرباً حتى خرج من تحت أيديهم وأرجلهم كأنه - كما يقول : - نصب أحمر - ولم يمنعه ذلك من أن يعود فى اليوم الثانى فينادى من جديد فى وجه الطغاة : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » .
 - ونال مثل ما ناله فى اليوم السابق .
 - وكان على استعداد لأن يعلن بالشهادتين كل يوم فى وجه كل طاغية : ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم منعه . . لقد كان مؤمناً .
 - ٢- بل لقد كان رابع الإسلام أو خامسه على اختلاف فى الرواية .
 - ٣- وملكت عليه شعائر الإسلام سمعه وبصره ، وشعوره وقلبه ، فكان يؤديها كما رآها آلافاً من المرات فى سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 - ٤- وكان ناصحاً لا يهدأ .
 - ٥- وكان زاهداً ، بل رأساً فى الزهد ، وزهده والزهد الذى كان يدعو إليه، إنما كان زهد المتجردين ، وزهد المتجردين هو الزهد الاختيارى : أى الزهد مع قدرة الإنسان على الكسب . . إنه زهد تحرر فيه الزاهد بمنتهى حريره من شهوات

الدنيا ، لم يخبره أحد على الزهد ، ولم يجرده أحد من مال - وزهده ، ودعوته إلى الزهد ، كل ذلك لا يمت بصلة إلى استعمال القوة والقهر في الاستيلاء على المال . .

وموقف المسلم من أسلوب القهر والاعتصاب واضح كل الوضوح ، وعلى الرغم من مئات الأدلة والنصوص المبيّنة لموقف الإسلام ، فإننا نكتفي بما يلي :

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » رواه البخاري ومسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

« من أخذ من الأرض شبراً بغير حقه طوقه من سبع أرضين » رواه أحمد

وفي رواية مسلم :

« لا يأخذ أحد شبراً من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله . . إلى سبع أرضين

يوم القيامة » .

وروى البخاري وغيره عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« من أخذ من الأرض شبراً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين » .

وعن أبي مالك الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعظم

الغلول عند الله عز وجل ذراع من الأرض ، تجدون الرجلين جاريتين في الأرض

أو في الدار فيقتطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعاً ، إذا اقتطعه طوقه من سبع

أرضين » ، رواه أحمد بإسناد حسن والطبراني في الكبير .

وعن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من غصب رجلاً أرضاً ظلماً لقي الله وهو عليه غضبان » . رواه الطبراني .

وعن الحكم بن الحارث السلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أخذ من طريق المسلمين شبراً جاء به يوم القيامة يحمله من سبع أرضين » .

رواه الطبراني في الكبير والصغير .

وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا مسلم بغير طيب نفس منه ، قال : ذلك
 لشدة ما حرم الله من مال المسلمين على المسلم » . رواه ابن حبان في صحيحه .
 وما كان أبو ذر رضي الله عنه - والأمر كذلك - يرضى لا ، ولا قلامة ظفر -
 أن تغتصب أرض أحد أو أن يغتصب منه شبر ، ولو حدث ذلك في عهده لثار
 ثورة عارمة فيها الإخلاص ، وفيها الإرادة العازمة ، وفيها الحدة التي اتسم بها ،
 وذلك لأنها تخالف ما عرفه من الإسلام .

وإذا كنا قد تحدثنا عن الاغتصاب ، فإننا نحب الآن أن نتابع الحديث
 عن بعض جوانب من الجو الإسلامي بالنسبة للمال .
 وهذا الجو الإسلامي الواضح أبان عنه القرآن بلسان عربي مبين ، وطبق
 هذا الجو الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده : أبو بكر
 الصديق ، وعمر الفاروق ، وذو النورين عثمان ، وفارس الإسلام وعالمه وزاهده
 - علي - كرم الله وجهه ، والصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعون ، وتابعو التابعين ،
 وهكذا إلى اليوم .

وهذا الجو هو أن المال لله تعالى قد استخلفنا فيه وهو الذي آتانا المال :
 إنه المانع المعطى ، وهو الوهاب الرزاق .

وهو سبحانه الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدره لمن يشاء :

« قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ
 الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، يَدُكَ الْخَيْرُ ،
 إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
 وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ
 تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .

[آل عمران ٢٦ ، ٢٧]

وقد وضع الله سبحانه :

١ - قواعد لكسب المال .

٢ - وقواعد لطهر المال .

٣ - وقواعد للأغنياء الذين آتاهم المال :

ونظم الأمر في كل ما يتعلق بالمال : تجارة وزراعة وإجارة وبيعاً وشراء وكتابة
للدین . . . إلخ . . .

* * *

أما قواعد كسب المال فإنها تكاد تتلخص في كلمة : الحلال : أن
يكون المال حلالاً لا شبهة فيه . . ولقد شدد الإسلام كثيراً في اشتراط أن يكون
الكسب من حلال .

عن ابن عباس - فيما أخرجه الحافظ ابن مردويه - قال : تليت هذه
الآية عند النبي - صلى الله عليه وسلم :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا » .

فقام سعد بن أبي وقاص فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني مستجاب
الدعوة ، فقال :

« يا سعد : أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد
بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأما
عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به . . » .

وروى أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « يا أيها الناس ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين
بما أمر به المرسلين ، فقال :

« يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » . . وقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ » . .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يا رب . . يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك . .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذي نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه » .

قالوا : وما بوائقه ؟ قال : غشه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالا حراماً فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله تعالى لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » . رواه أحمد وغيره .

وعن معاذ رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما تزال قدماً عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل فيه ؟ » رواه الترمذى وصححه والبيهقى . .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما مشتهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام

كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ،
ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد
كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » . رواه البخارى ومسلم
والترمذى ولفظه :

الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتهات لا يدرك كثير من
الناس أمن الحلال هى أم من الحرام ؟ فمن تركها استبرأ لدينه وعرضه فقد سلم
ومن واقع شيئاً منها يوشك أن يواقع الحرام ، كما أنه من يرعى حول الحمى
أوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه .

وفى رواية لأبى داود والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إن الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتهات ، وسأضرب
لكم فى ذلك مثلاً إن الله حمى حمى ، وإن حمى الله ما حرم ، وإنه من يرتع
حول الحمى يوشك أن يخالطه ، وإن من يخالط الريبة يوشك أن يخسر » .
ومما يتصل بذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً ،
فأنزل الله عز وجل : « ويل للمطففين » فأحسنوا الكيل بعد ذلك . رواه ابن
ماجه وابن حبان والبيهقى .

ومما يتصل بذلك أيضاً عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال :

« التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » رواه الترمذى
وقال : حديث حسن .

وأخذ المسلمون فى إطار المبادئ الإسلامية يعملون فى جد لكسب العيش ،
ولاستثمار المال : كانوا يتاجرون ويزرعون ويسافرون بالتجارة هنا وهناك ، أو يرسلون
من يقوم عنهم بالتجارة فى أموالهم .

ومن المعروف أن المهاجرين أتوا إلى المدينة وليس في أيديهم شيء من المال . . .
وحينما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأنصار والمهاجرين عرض
الأنصار على المهاجرين أن يتقاسموا الأموال ، فغف المهاجرون في كرامة كريمة
وشكر صادق ، عن هذا العرض ، وأخذوا يعملون مباشرة في كسب عيشهم
ونذكر كمثال مايلي :

روى البخارى بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال :
« لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبين سعد بن الربيع ،
فقال سعد بن الربيع : إني أكثر الأنصار مالا فأقسم لك نصف مالى ، وانظر
أى زوجتى هويت لك عنها فإذا حلت تزوجتها ، فقال له عبد الرحمن :
لا حاجة لى فى ذلك هل من سوق فيه تجارة ؟ قال : سوق بنى قينقاع . . فغدا
إليه عبد الرحمن بأقط (لبن جامد) وسمن ، ثم تابع الغدو ، فما لبث أن جاء
عبد الرحمن عليه أثر صفرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تزوجت ؟
قال : نعم . قال : « ومن ؟ قال : امرأة من الأنصار . قال : « كم سقت ؟ »
قال : زنة نواة من ذهب - أونواة من ذهب . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :
« أولم ولو بشاة » .

أخذ المسلمون يعملون فى كسب المال تحت سمع الرسول صلى الله عليه
وسلم وبصره ، وأثرى الكثير منهم ثراء عظيما ، فلم ينههم رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الازدياد ولم يأمرهم بالوقوف عند حد فى التجارة والكسب .

ولقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه بالجنة هم :
أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن
أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ،
وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . . .
وإذا نظرت إلى هؤلاء العشرة نظرة متأنية رأيت أنهم لم يكونوا جميعاً من

الفقراء ، ولم يكونوا جميعاً من الأغنياء ، ولم يكونوا جميعاً من متوسطى الحال .
وإنما كان منهم الغنى ومنهم الفقير والمتوسط .

ولكن هذه النظرة تبين أمرين سافرين :

١ - التقوى : والله سبحانه وتعالى يقول :

« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » .

والتقى هو المحافظ على حدود الله عقيدة وشريعة وأخلاقاً ونظماً للمجتمع .

٢ - الجهاد : الجهاد بجميع ضروبه :

(أ) جهاد النفس لتتركى .

(ب) جهاد الأسرة لتستقيم ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

(ح) الجهاد فى المجتمع حتى يقوم على أمر الله عقيدة وشريعة ،
وأخلاقاً ونظماً اجتماعياً .

ولكن الأمر ، فيما يتعلق بصلة العشرة المبشرين بالجنة بالمال ، ما زال فى
حاجة إلى إيضاح ، ومن أجل ذلك نكتب الفصل التالى حتى نرفع الالتباس
الذى وقع فيه بعض من لا يفقهون .





المجتمع الإسلامى والمال

ولزيادة وضوح الأمر فى بيان الجوانب الإسلامى بالنسبة للمال نحب أن نتحدث عن شخصيتين من العشرة المبشرين بالجنة ، أما أولهما فهو :

* البليونير الصالح عبد الرحمن بن عوف :

أحد العشرة ، وأحد الستة أهل الشورى ، وأحد السابقين البدرين ، وأحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام . .

ومن مناقبه رضى الله عنه :

أن النبى صلى الله عليه وسلم شهد له بالجنة .

وأنه من أهل بدر الذين قيل فيهم : اعملوا ما شئتم .

ومن أهل هذه الآية :

« لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا . وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » . .

وقد صلى صلى الله عليه وسلم وراءه :

عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلي بالناس ، فأراد عبد الرحمن أن يتأخر ، فأومأ إليه أن مكانك ، فصلى وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته » .

وعن عمرو بن وهب الثقفي قال :

كنا مع المغيرة بن شعبة ، فسئل : هل أم النبي صلى الله عليه وسلم أحد من هذه الأمة غير أبي بكر ؟ فقال : نعم ، فذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على خفيه وعمامته ، وأنه صلى خلف عبد الرحمن بن عوف وأنا معه ركعة من الصبح ، وقضينا الركعة التي سبقتنا ..

يقول الإمام الذهبي :

ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشورى ، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد ، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان ، ولو كان محايياً فيها لأخذها لنفسه ، أولولها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص .

ويروى عن عبد الله بن دينار عن أبيه قال :

كان عبد الرحمن بن عوف ممن يفتى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عبد الرحمن بن عوف هذا كان من أصحاب الملايين رضي الله عنه :

ماذا فعل في ملايينه هذه ؟

في يوم من الأيام قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام فلما دخلت سمع لأهل المدينة رجّة ، وتحدث الناس بها هنا وهناك ، وكان منظر الرواحل مثيراً ، ولما عرف ذلك عبد الرحمن تبرع بها جميعها : الرواحل وما حملت ، في سبيل الله ..

وقائمة تبرعاته لا تكاد تحصى :

منها أنه تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف ماله ،
ثم تصدق بأربعين ألف دينار . .

وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله .

ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله

هذا بعض ما تبرع به عبد الرحمن بن عوف في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى أخذ عبد الرحمن
يتبرع تباعاً بنسبة زيادة ماله . .

وكان يخصص جزءاً من ماله كل عام لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم .
يقول المسور رضى الله عنه :

فلما أتيت عائشة بنصيتها قالت : من أرسل بهذا ؟
قلت : عبد الرحمن .

قالت : أما إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا يحنو عليكم بعدى إلا الصابرون ، سقى الله بن عوف من سلسبيل الجنة » . .
ولقد أوصى عبد الرحمن لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديقة
قومت بأربعمائة ألفاً . .

ووصل الأمر بكرم عبد الرحمن بن عوف أنه كانت صلاته وهباته تستغرق
ثلث أهل المدينة . .

وكان يقضى ديون ذوى الديون ، وكان يقرض المحتاجين قرضاً حسناً ، وكان
يصل في سخاء ذوى رحمة من الأقارب الأقربين ، ومن ذوى القربنى البعيدين ،
وكان يعم كرمه جميع أفراد عشيرته المحتاجين . .

أما الشخصية الثانية التى نحب أن نقول عنها كلمة فإنها شخصية :

• الزاهد الصالح أبي عبيدة بن الجراح :

.. إنه أحد السابقين الأولين ، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة .
وأشار به يوم السقيفة لكمال أهليته عند أبي بكر . . شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وسماه أمين الأمة . . .

وهو أحد الثمانية الأول في الإسلام : أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وقد تحدث أبو بكر الصديق وقت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسقيفة بني ساعدة :

قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : عمر ، وأبا عبيدة .

وكان أبو عبيدة معدوداً فيمن جمع القرآن العظيم .

وبلغ من منزلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جعله رئيساً على مدد حربي فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعمر الفاروق رضي الله عنه ، قال موسى بن عقبة في مغازيه :

غزوة عمرو بن العاص هي غزوة ذات السلاسل من مشارف الشام ، فخاف عمرو من جانبه ذلك ، فاستمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتدب أبا بكر وعمر في سراة من المهاجرين ، فأمرني الله عليهم أبا عبيدة . .

وثبت من وجوه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

وكان رضي الله عنه حبيباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن عبد الله قال : سألت عائشة : أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إليه ؟ . . قالت :

أبو بكر ، ثم عمر ، ثم أبو عبيدة بن الجراح .

وأطلق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمين هذه الأمة » . .

ومن أجل كل ذلك رشحه أبو بكر رضي الله عنه للخلافة ، وما كان سيدنا عمر رضي الله عنه يؤثر عليه أحداً لأمر الخلافة ولو كان حياً :

عن شريح بن عبيد وراشد بن سعد وغيرهما قالوا :
ولما بلغ عمر بن الخطاب سرغ [وهي قرية في أول الشام] وحدث أن بالشام وباء شديداً قال :

« إن أدركني أجل وأبو عبيدة حي استخلفته ، فإن سألني الله عز وجل لم استخلفته على أمة محمد ؟ . . قلت : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

ويقول صاحب كتاب : أعلام النبلاء :

(وكان أبو عبيدة موصوفاً بحسن الخلق ، وبالعلم الزائد والتواضع) .

وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما منكم من أحد إلا لو شئت لأخذت عليه بعض خلقه إلا أبا عبيدة

هذا » ؟ . .

وكان فارساً مقداماً لا يتراجع ، ولم يكن فارساً شجاعاً فحسب ، وإنما

كان فارساً حكماً ذا بصيرة في الترتيب الحربي . .

ولكل هذا انتهى به الأمر أن كان القائد العام لجيوش الفتح في الشام

كله ، ولاه سيدنا عمر ، وكانت ثقته به مطلقة .

وكان أبو عبيدة يسير في العسكر فيقول :

« ألا رب مبيض لثيابه ، مدنس لدينه ، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين .

بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات » . .

وسافر سيدنا عمر إلى الشام ليرى الأمر على الطبيعة ، وفي ذلك يروى المؤرخون

عن تميم بن سلمة أن عمر لقي أبا عبيدة فصافحه ، وقبل يده ، وتنحيا بيكيان . .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال :

قدم عمر الشام فتلقيه الأمراء والعظماء ، فقال : أين أخى أبو عبيدة ؟

قالوا يأتيك الآن ، قال : فجاء رجل على ناقة مخطومة بحبل ، فسلم عليه

ثم قال للناس : انصرفوا عنا ، فسار معه حتى منزله ، فنزل عليه ، فلم يرف في بيته إلا سيفه وترسه ورحله ، فقال له عمر :

لواتخذت متاعاً ، أو قال : شيئاً . . .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا سيبلغنا المقييل . . .

وعن زهد أبي عبيدة يروى مالك أن عمر أرسل إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف ،

أو بأربعمائة دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع بها . . قال : فقسمها أبو عبيدة ،

ثم أرسل إلى معاذ بمثلها ، قال : فقسمها إلا شيئاً قالت له امرأته : تحتاج إليه . .

فلما أخبر الرسول عمر قال :

. . الحمد لله الذى جعل فى الإسلام من يصنع هذا -

ونلاحظ من كل ذلك :

(أ) أن أبا عبيدة وصلت به تقواه إلى أن كان : أمين الأمة .

(ب) ووصلت به شجاعته وبصيرته المستنيرة إلى أن كان أمير الجيوش .

(ح) وكان زاهداً زهداً اختيارياً لم يجبره أحد عليه ، ولم يكن هذا الزهد

عن فقر : لم يكن زاهداً بسبب أخذ ماله قهراً ، أو الاستيلاء على

عقاره بالقوة ، وإنما زهد فى متاع الدنيا لأنه يريد وجه الله .

(د) حينما زاره عمر لم يجد عنده - وهو القائد العام لجيوش الشام -

متاعاً ، وسأله أين متاعك وأنت أمير ؟ . .

فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا يبلغنا المقييل ، أى يكفيننا إلى أن نصل

إلى الآخرة ، دار الإقامة والبقاء . . لم يكن زهده عن فقر وإنما كان زهده عن

استشراف لما هو أنفس . .

كان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وسقاه من سلسبيل الجنة - غنياً صاحب ملايين ، وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . . .

وكان أبو عبيدة - وهو صورة حبيبة إلى كل نفس - زاهداً مختاراً ، وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . . .

ولقد استأهلا الجنة ببطولات وجهاد ، وتفان في حب الله ورسوله ، وبصفات أخرى كثيرة يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهلهما للبشرى بدخول الجنة .

والعشرة المبشرون بالجنة فضلوا على غيرهم لجهادهم وبطولاتهم ، وصفاتهم التي امتازوا بها على غيرهم . . . وكان بعضهم من أصحاب الملايين ، وبعضهم من متوسطى الحال ، وبعضهم من الزهاد المتجردين طوعية واختياراً .

وهناك من هم في مستوى من أفضل المستويات : جهاداً وتقوى عشرات ومئات ، وآلاف من الصحابة ، ولم ترد الأخبار الصحيحة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرهم بالجنة ، من هؤلاء : أبو ذر رضى الله عنه .

ويصل بنا كل ذلك إلى القول بأن واقع المسلمين ، وهم تحت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصره ، لم يكن فيه اتجاه قط ، ولا من بعد ، إلى الحد من الثراء ما دام في إطار المبادئ الإسلامية من الكسب الحلال .

فإذا انشق إنسان أو شعب عن هذا النظام فإنه يكون منشقاً عن الوضع الإسلامى ، عن الإسلام ، عن عمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن الوضع الذى رسمه الله ورسوله للأمة الإسلامية ، ولم يكن أبو ذر رضى الله عنه من هذا الفريق فهو عدو للشيعوية من قبل أن توجد لأنه عدو لكل انحراف رضى الله عنه .





قواعد طهر المال

ونصل الآن إلى الموضوع الثاني :

إنه مع اشتراط أن يكون المال من كسب حلال طيب ، فإنه لا بد من شرط آخر ، حينما يصل المال إلى ملكية الإنسان : وهذا الشرط سمى إن شئت : شكر الله على نعمته ، أو سمى : عامل التزكية ، تزكية المال . وتزكية صاحب المال ، وهذا الشرط هو : الزكاة ، شرط حتمى ، والصدقة : زيادة شكر الله على نعمته :

وستتوسع في الحديث عن هذا الموضوع :

لما له من أهمية !

ولأن كثيراً من الناس انصرفوا عنه .

ولأنه يتصل به زوايا أخرى كثيرة لا بد من إيضاها .

روى الإمام البخارى رضى الله عنه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبوبكر رضى الله عنه ، وكفر

من كفر من العرب ، بسبب عدم إخراجهم الزكاة ، وامتناعهم عن تأديتها .

فقال عمر رضى الله عنه :

كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم

منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ؟

فقال أبو بكر :

والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ؛ فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم على منعها !

قال عمر رضي الله عنه :

فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه ، فعرفت أنه الحق .
من هذا الحديث الشريف نعلم أن مانع الزكاة بهذا الوضع ، وعلى هذه الصورة كافر ، وأنه يحارب حتى يؤديها وإلا قتل ! ! !

وقد حارب سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ، ما نعى الزكاة ، لأنه رأى أن الامتناع عن الزكاة - إنكاراً لها - ارتداد عن الإسلام ، ولم ينفعهم - فيما رأى - سيدنا أبو بكر ، وفيما رأى الصحابة معه - صلاة أو صيام ، أو غير ذلك من الشعائر الإسلامية .

ذلك أن الزكاة ركن من أركان الإسلام ، والامتناع عن أدائها إنما هو هدم ركن من أركان الدين .

إنها الركن الثالث يدفعها من تجب عليه لمستحقها ليحيى بها نفوساً ، ويشبع بها بطوناً ، ويمسح بها دموعاً ، ويزيل بها آلاماً ، وينال بها ثواباً وأجرأ من الله تعالى .

وكان الإسلام بفرضها أراد أن يلفت بها نظر المسلم ، ويوجه انتباهه في صورة من صور الواجب - إلى ضرورة شكر الله تعالى على ما أسدى إليه من نعمة المال ، وعلى ما وهب من نعمة الثراء .

وأراد أن يلفت نظره إلى أنه : عضو في مجتمع يجب أن يكون متعاوناً متسانداً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر . . .
وإلى أنه عضو في مجتمع يتكفل كل فرد فيه بالآخرين .

فالغنى متكفل بالفقير ، والقوى متكفل بالضعيف ، وذو الجاه متكفل بمن لا جاه له ، وذو العلم متكفل بمن ليس بعالم .
وقد جعل الله سبحانه وتعالى الزكاة برهاناً على الإيمان ، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« الصدقة برهان » . .

وكل من يخادع نفسه إذن فيدعى الإيمان ، ثم يمتنع عن زكاة ماله ، فإن هذا الامتناع نفسه برهان على كذبه .
وإذا كانت الزكاة برهاناً ، فإنها ، أيضاً ، امتحان يستبين فيه من أجاب داعى الله ، ومن أعرض عنه .
ثم هى تطهير للنفس وتزكية لها ، وتطهير للمال ، وتزكية له ، يقول الله تعالى :

« خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا » . . .

[جزء من الآية ١٠٣ من سورة التوبة]

والمال الطاهر المزكى : ينمو باستمرار ، ويجعل الله فيه البركة ، ويحفظه الله تعالى من التلف ، ويبعد عنه الآفات ، ثم يخلفه الله تعالى :

« وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ » .

[جزء من الآية ٣٩ من سورة سبأ]

وهو سبحانه وتعالى ، يعوضه أضعافاً مضاعفة :

« مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » .

[سورة البقرة الآية ٢٦١]

ويأتى من بعد ذلك كله الأجر والثواب ، ورضوان الله سبحانه وتعالى .
وأجر الزكاة يبدأ من عشرة أمثالها ، فالحسنة يعشر ، إلى سبعمائة ضعف ،
إلى ما يشاء الله من أضعاف لا يكاد يحصيها العد .
والزكاة إذن رابطة بين الإنسان وربه ، رابطة رضوان من الله ، وأجر وثواب ،
ونماء وبركة ، ورابطة شكر من الإنسان لله تعالى ، على ما أنعم به ، وتفضل وأحسن
وأكرم .

وهي من ناحية أخرى : رابطة بين الإنسان ، وأفراد المجتمع الذى يعيش
فيه ، رابطة مودة وتعاطف وتراحم .
والأساس الذى يجب أن يقوم عليه إعطاء الزكاة : أن يعطيها الإنسان
طيبة بها نفسه ، منشراحاً بها صدره ، غير منتظر شكراً ولا حمداً ، ولا معروفاً
يسدى ، ولا خدمة تؤدي ، يقول الله سبحانه وتعالى :

« فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى . لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى . الَّذِي كَذَّبَ
وَتَوَلَّى . وَسِجْجَبًا آتَقَى . الَّذِي يُوْتَى مَالَهُ يَتَرَكَّى . وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ
مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .
[سورة الليل الآيات : ١٤ - ٢١]

وبعض الناس يتبعون صدقاتهم بالمن والأذى فيبطل ذلك زكاتهم ، ولكن :

« الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا
مِنَّا وَلَا أَذَى ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ » .

[سورة البقرة الآية ٢٦٢]

وبعد : فإن هذا المال الذي استخلفنا الله عليه ، وجعلنا مجرد مستخلفين فيه ، إنما هو مال الله ، يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً الأغنياء :

« وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ » .

[سورة الحديد الآية : ٧]

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى :

« الأغنياء وكلائى ، والفقراء عيالى ، فإذا بخل وكلائى على عيالى » أذقهم نكالى ولا أبالى .
أما هؤلاء الذين يشحون بالمال ، ويبخلون به ، فإن الله سبحانه وتعالى يتحدث عنهم فيقول :

« وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » .

[سورة آل عمران الآية : ١٨٠]

• المعانى الإنسانية فى الزكاة :

روى الإمام أحمد رضى الله عنه بسنده عن أنس رضى الله عنه قال :

« أتى رجل من تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني ذو مال كثير ، وذو أهل ومال حاضرة ، فأخبرنى كيف أصنع وكيف أنفق ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك ، وتصل أقباءك ، وتعرف حق المسكين ، والجار ، والسائل » :

في هذا الحديث الشريف ، بين رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الزكاة تطهر المزكى ، إنها تطهره من البخل ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

[سورة الحشر الآية : ٩]

وإن من الثلاث المهلكات التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشح المطاع .

وتطهر النفس من الأنانية التي تجعل بعض النفوس يستأثر بكل شيء ؛ ويختص نفسه بكل خير ، مكتنزاً له ، ومقتراً حتى على أقبائه ، فإذا ما تعود إخراج الزكاة ، فإنه بذلك يكون قد تعود أن يمنح ما يملك ويعطى مما أعطاه الله ، فيخرج بذلك عن شيء من أنانيته ، ومن أجل ذلك يقول تعالى لرسوله الكريم :

« خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا » .

[سورة التوبة جزء من الآية : ١٠٢]

ثم هي طمأنينة للنفس : على النفس ، وعلى المال :

فالزكاة نوع من الفداء عن النفس . يشعر بذلك المزكى شعوراً واضحاً ، أو شعوراً خفياً .

إنه يشعر في نفسه بعد أداء الزكاة بطمأنينة ، ويشعر في قلبه برضاً ، وفي ضميره بارتياح .

والزكاة نوع من الفداء عن المال ، ومن أجل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حصنوا أموالكم بالزكاة » .

وإنه لما يرضى النفس ، ويرتاح له القواد ، أن يصل الإنسان بالزكاة أقرباءه ، فتكون الزكاة زكاة وصلة رحم ، ويكون ثوابها بذلك مضاعفاً .

وإنه لشكر لله على النعمة أن يخرج الإنسان بعضها لمن لم يمنحه الله الثراء .

وبعد : فإن المسلم الصادق يرى من قبل ذلك ومن بعده أن للزكاة غايتين :

أولاهما : أن الزكاة تأدية حق ، إنها واجبة وليست منحة ، إنها واجبة وليست تفضلاً ، فهو يؤديها على أنها حق السائل والمحروم ، يقول الله تعالى في سورة الذاريات عن المتقين :

« وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » .

[آية : ١٩]

ويقول الله تعالى في سورة المعارج ذاكراً صفات المؤمنين الحميدة :

« وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ، لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » .

[الآيات : ٢٤ ، ٢٥]

أما الغاية الثانية : الغاية العليا ، الغاية السامية فإنها الرضا الإلهي ، يقول تعالى من سورة الليل :

« فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى . لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى . الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى . وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى . الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى . وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .

الصدقة :

يقول الله تعالى من سورة البقرة :

« قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ
نَلِيمٌ » .

وردت هذه الآية الكريمة - ضمن آيات عدة - تحت على الصدقة ، وتذكر
أبوابها وثمراتها .

وقد بدأ الله سبحانه وتعالى هذه الآيات من سورة البقرة بذكر ثمرات التصديق
، سبيل الله ترغيباً في الصدقة من أول الأمر ضارباً المثل الواضح :
فمثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله سبحانه كمثل حبة غرست في الأرض ،
بنت وأينعت ، وأثمرت سبع سنابل ممتلئة موفورة ، في كل سنبل منها مائة حبة ،
يشير الله بذلك إلى أجر المتصدق ، ومقدار ما يخلفه الله تعالى عليه جزاء صدقته ،
إذا الأجر الذي يتضاعف ، فيصل إلى سبعمائة مثل ، ولكنه لا يقتصر على ذلك ،
نه بمقدار إخلاص المتصدق يضاعف الله له الأجر إذا شاء ، وإن فضل الله لأوسع
ن أن يضيق بمنح الأضعاف المضاعفة ، وهو سبحانه عليم بمن يستحق ذلك من
خلصين :

وبعد ذلك تتعرض الآيات لبعض شروط الصدقة المقبولة ، فمن ذلك أنه
بحانه :

١ - لا يقبلها من هؤلاء الذين يتبعونها بالمن .

والمن أن يعتد المتصدق بإحسانه على من أحسن إليه ، فيقول مثلاً : أنا أحسنت
به في كذا وكذا ، وأنا فعلت معه هذا وذاك ، يريد بذلك إظهار فضله عليه .

٢ - ومن ذلك أيضاً أنه سبحانه لا يقبلها ممن يتبعها بالأذى .
والأذى : أن يتناول المنفق على من أنفق عليه بالكلام أو بغيره .
أما الذين لا يتبعون ما أنفقوا منّا ولا أذى ، فإن أجرهم عند الله سبحانه جزيل
ومن أجل إبعاد المتصدقين عن أن يقعوا فيما يتصل المنّ والأذى ، من قريب
أو بعيد ، أفاض سلفنا الصالح في الحديث عما يكون منّا أو أذى فقالوا :
المنّ : أن يستخدمه بالعطاء ، والأذى : أن يعيره بالفقر .
وقالوا : المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى : أن ينهره ويوبخه بالمسألة
ولقد قال الإمام الفقيه سفيان الثوري .

مَنْ مَنّ فسدت صدقته !

ف قيل له : كيف المن ؟

فقال : أن يذكره ، ويتحدث به .

ولقد كان سلفنا الصالح دقيقاً في هذه المعاني ، حتى لقد قال زيد بن أسد
رضي الله عنه :

« إذا أعطيت أحداً شيئاً ، وظننت أن سلامك يثقل عليه ، فكف سلامك عنه .
على أن الكلام الحسن ، والرد الجميل على السائل ، والبشاشة في وجهه ، والتجاوز
عن إلحافه ، ومغفرة ذلك له - وكلها أمور سهلة التحقيق - خير عند الله ، وأفضل
من صدقة يتبعها : مَنْ أو أذى للسائل !

والدين الإسلامي : دين يحافظ على كرامة الفرد محافظة تامة ، ما دام الفرد
محافظاً على حدود الدين وآدابه لا يتجاوزها ، وإن حث على الصدقة والإنفاق
فليس يعني بذلك الحط من قيمة الفقير ، بل إنه مما يؤثر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال :

« ما الذي أعطى من سعة بأفضل أجراً من الذي يقبل من حاجة » !

ويروى أيضاً أنه قال - ما معناه - :

« إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير » :
على أن الصدقة في الجو الإسلامي : إنما تفيد المتصدق أكثر مما تفيد الآخذ ،
لك أن فائدتها للآخذ : تكاد تكون فائدة مادية وحسب ، إنها بالنسبة له لا تعدو
ن تكون علاجاً للجوع !

أما بالنسبة للمعطي فإنها تفيده في الدنيا ، وتفيده في الآخرة .
أما فائدتها في الدنيا : فإن الله سبحانه يخلف عليه لا بالمثل فقط ، بل بأضعاف
ضاعفة ، يقول تعالى :

« وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ » .

والصدقة دواء من المرض : يقول صلوات الله وسلامه عليه :
« داووا مرضاكم بالصدقات »

ويقول صلوات الله وسلامه عليه في إجمال وفي شمول :
« الصدقة تسد سبعين باباً من الشر » :

أما فائدة الصدقة في الآخرة : فإنها كما يقول صلوات الله وسلامه عليه .
... « تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« اتقوا النار ولو بشق تمر ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » .

ومن أجل فائدتها دنيا وأخرى كان سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - عندهم
عور مرهف ، وإحساس دقيق ، واندفاع إلى الخير في صورة الصدقة ، فلقد
صدقت السيدة عائشة رضوان الله عليها بخمسين ألفاً ، وإن ثيابها لمرقعة !

ولقد كانت - رضوان الله عليها - كغيرها من أفاضل ومن فضليات ذلك العهد
كريم - إذا أرسلت صدقة إلى فقير قالت لمن ترسله بالصدقة : احفظ ما يدعو
، - ثم كانت ترد عليه مثل قوله ، فتدعو له بمثل ما دعا لها ، وتقول : هذا بذاك ،

حتى تخلص لنا صدقتنا ، وكانت لا تتوقع الدعاء ، لأنه شبيه بالمكافأة ، وكانه
تقابل الدعاء بمثله .

ولقد عرفوا رضوان الله عليهم منزلتها عند الله ، وقيمتها في سبيل القرب م
سبحانه :

يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز واصفاً فضل العبادات في التقريب من الله
« الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك ، والصدقة تدخله
عليه » .

عرفوا ذلك فتنافسوا في البذل والإنفاق ، والتزموا حدود الآداب التي يحب
الله سبحانه من المتفق ، واعتبروا أن للفقير فضلاً عليهم في تطهير أموالهم ، وفي
تركية نفوسهم ، وفي وضعهم موضع القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى ، فابتعد
كل البعد عن إيذاء الفقراء على أى وضع من الأوضاع ، وإذا لم يكن عنده
ما يهدونه إلى الفقير قالوا له قولاً معروفاً ، وإذا ألحف غفروا له إلحافه ، وإذا فاء
ببعض ألفاظ لما يجد من الضيق الذي يحيط به عفوا عنه .

وبعد ، فإن أسلافنا ممن أنار الله بصائرهم : كانوا يتبعون الهدى الإسلامى في
أموالهم ، فيقولون :

إن هذه الأموال اشتراها الله منا في عقد الإيمان بضمن هو الجنة :

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ » .

فالمال مال الله ، والله سبحانه استخلفنا عليه ، ثم أمرنا بأن ننفق في سبيله وعياله
عياله أى الفقراء مما استخلفنا فيه :

« وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ » .

وهو سبحانه المعطى للمال ، فالفضل منه وإليه ، ولو شاء الله لأغنى الفقراء

كنه سبحانه فتح أمام الأغنياء بالصدقة باباً هو الصدق في الإيمان ، حتى تكمل
وسهم وتتركي ، فيرضى عنهم ، ويدخلهم في رحاب رحمته ورضوانه .

الإيمان والإنفاق في سبيل الله :

إن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يقول :
« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » :
وإذا وجد الإيمان وجد التأزر والتعاطف .
ونحب أن نتحدث في هذا الجانب عن عامل واحد من عوامل التعاطف وهو
زكاة :

أى أننا نحب أن نعود إلى الزكاة من جديد ، والحديث فيها لا يكاد ينفذ .
إن الزكاة وإن كانت تركية لمال المزكى ، فإنها تركية وتطهير لنفسه ، وهي
كية وتطهير لنفس الآخذ ، فإنها تبعث فيه الرضا والاطمئنان ، وهي تربط بين
راد المجتمع برباط محكم لأنها مودة وشكر .

والزكاة في أوسع معانيها : إنما هي بذل وتضحية ؛ فمعاونة الضعيف زكاة ،
زيارة المريض زكاة ، والكلمة الطيبة زكاة ، وكل إنفاق من القوة أو الذكاء
المال في سبيل الله ؛ إنما هو زكاة ، وقد وعد الله بأن يخلفه يقول الله تعالى :

« وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ » .

يخلفه في الدنيا ، ويجزى عليه العطاء في الآخرة .
والإسلام من أجل ذلك يشجع البذل والإنفاق ، والعبارات التي استعملها
قرآن في ذلك بلغت حدّاً من الروعة لا يجارى :

« مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ

سَبْعَ سَنَابِلَ ، فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .

« الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا
مِنَّا وَلَا أَذًى ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ » .

« من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ، فيضاعفه له وله أجر كريم » .

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخاري :

« على كل مسلم صدقة » .

فقالوا : يا نبي الله ، فمن لم يجد ؟ قال : « يعمل بيده ، فينفع نفسه ويتصدق »

قالوا : فإن لم يجد ؟

فقال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » .

قالوا : فإن لم يجد ؟

قال : « فليعمل بالمعروف ، وليمسك عن الشر فإنها له صدقة » !

ولأهمية الزكاة البالغة - سواء نظرنا إليها باعتبارها جزءاً من الدين ، أو نظر

إليها باعتبار أهميتها للمجتمع - حارب سيدنا أبو بكر هؤلاء الممتنعين عن أدائها

قائلاً :

« والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » !

الزكاة حق المال ، وهي أيضاً من حقوق لا إله إلا الله !

وسواء أكنّا بصدد الزكاة ، أم بصدد الصدقة ، فإن منزلتهما في الدين

وأهميتهما للمجتمع بينة واضحة ، والأحاديث في الحث عليهما كثيرة ، يقول رسوا

الله صلى الله عليه وسلم :

« تصدقوا ولو بتمرة ، فإنها تسد من الجائع ، وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء نار » !

وقال عليه الصلاة والسلام :

« اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » .

« ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيباً - كان الله أخذها يمينه فيريها كما يرى أحدكم فصيلة حتى تبلغ الثمرة مثل ند » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » .

« والصدقة تسد سبعين باباً من الشر » .



الرِّبَا

والطرف المعارض للصدقة ، الطرف الذى يبغضه الله ، ويبغض المتعاملين به : هو الربا .

وقد حارب الإسلام الربا حرباً لا هوادة فيها : !
حاربه لأنه مبدأ ليس بإنسانى ، واستعمل فى محاربته من التعبير أقساه . لقد حاربه فى جملة وتفصيله .
قال الله تعالى :

« الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا . وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ » .

[سورة البقرة آيتا : ٢٧٥ - ٢٧٦]

إن القاعدة الأساسية فى بيان حقيقة الربا هى : أن كل قرض جر نفعه

فهو رباً ، وقد بين الشرع الحكيم أن من أعطى غيره مقداراً من القمح أو من النقود فليس له أن يسترد إلا المقدار نفسه ، يقول الله تعالى :

« وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ » .

[سورة البقرة جزء من الآية : ٢٧٩]

وصاحب المال ليس له إذن إلا المقدار الذى أعطاه .

وقد كان عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم إحساس دقيق بهذه المعانى لدرجة أن الواحد منهم كان يتحرج من أن يستظل بظل شجرة المقرض أو حائطه .

وعلى هذا الأساس الدينى من القرآن والسنة : فإن كل محاولة لإخراج الفائدة - مهما قلت - عن محيط الربا ، تكون منافية للكتاب والسنة وعمل السلف الصالح . والآية القرآنية الكريمة التى بين أيدينا تتحدث عن حالة الذى يأكل الربا فى نفسه ، وتتحدث عن هؤلاء الذين يجادلون ويمارون فى أوامر الله ونواهيه من أجل تحليل ما حُرِّم ، وتتحدث عن ثمرة استعمال الربا ، وثمره الجانب المقابل له ، وهو الصدقة .

أما حالة من يأكل الربا : فإنها كحالة المجنون الذى يتخبطه الشيطان من المس : ذلك أنه إذا كان هذا الذى أصابه خبل يقوم ويسقط ويسير ويهوى إلى الأرض فهو متخبط بجسمه المادى .

فإن الذى يقيس الربا على البيع ، ويجعل الربا حلالاً ، لأن البيع حلال متخبط فى تفكيره العقلى ، بل إن هذا شر من الذى يتخبط بجسمه .

قال المعارضون لصراط الله المستقيم : إنما البيع مثل الربا ، وقصدوا بذلك المبالغة حيث جعلوا الربا أصلاً ، وقاسوا عليه البيع .

وكان أهل الجاهلية إذا حل مال أحدهم على غريمه يقول الغريم : زدنى فى الأجل أزدك فى المال - فيفعلان ويقولان :

سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند محل الدين هو مرضاة .
فأنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك ، وكذبهم وبين لهم ما يجب أن يلتزموه
دون معارضة أو نقاش أو شك ، وهو الخضوع لحكم الله سبحانه وتعالى خضوعاً
لا يجدون في أنفسهم حرجاً ولا ضيقاً ، قال الله تعالى لهم .

« وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا » .

فكل قياس بعد ذلك يريد أن يخرج على هذا النص فإنه قياس فاسد ، وكل
محاولة تريد أن تبرر حل الربا فإنها محاولة خاسرة .

وهؤلاء الذين يتجهون هذا الاتجاه ليس مثلهم في تخطيط منطقهم إلا كمثل
تخطيط المجنون الذي لا يكاد يخطو حتى يهوى إلى الأرض متعثراً مصروعاً . وموقف
أكلة الربا بعد بيان الله سبحانه هذر وموعظته إنما هو أحد أمرين .

إما أن ينتهي المرابي ويستجيب لله سبحانه وتعالى بترك الربا ، فهذا يكون أمره
راجعاً إلى الله ، وله رأس ما له فقط .

وإما أن يستمر على الربا ويتمادي بعد بلوغه النهى فأولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون .

على أن الله سبحانه وتعالى يحق الربا ويذهب ببركته فإنه سبحانه يبارك
في المال الذي أخرجت منه الصدقة .

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما نقص مال من صدقة » .

ويختتم الله آيات الربا بهذا التهديد العنيف ، وبهذا الوعيد الشديد :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ تُبْتُمْ

فَلَكُمْ رُؤُوسٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ .

والمفهوم من هذه الآية الكريمة : أن المرابى الذى لم يتب لا يحل له شىء من ماله .

وقد وردت آيات الربا التى معنا بعد آيات رائعات تتحدث عن الصدقة ، وعن هؤلاء الذين يستجيبون لله تعالى فيسارعون إلى مرضاته بالصدقة وبالزكاة ، فيرعاهم ويكلؤهم بعنايته ويحفظهم بحفظه :

« الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

وإذا ذكرت قصص المرابين فى بشاعة واشمئزاز : فإن قصص أصحاب الصدقات ، والمؤثرين على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة لا تكاد تحصى ولا تعد .

وإذا كان المرابون تُسَعَّرُ بهم نار جهنم ، فإن أصحاب الصدقات وأصحاب القرض الحسن على هدى من الله ، وفى رحاب رضوانه ، فإن من أنظر معسراً أو وضع عنه :

« أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » .

هذا ، ولم يكن موقف السنة النبوية الشريفة فيما يتعلق بالربا بأقل صرامة من موقف القرآن الكريم ، فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اجتنبوا السبع الموبقات - أى المهلكات - قالوا : يا رسول الله : وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ، وأكل

الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :

« لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، وشاهده - وقال : « هم سواء » .

وقد نتساءل عن السر في تحريم الربا بهذه الصرامة الصارمة ، ولكن هذا السر سافر ظاهر لا يغيب عن ذوى البصائر الرشيدة ، فإن الأساس الذي يتخذه الدين الإسلامى لبناء العلاقات بين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض ، إنما هو الأخوة :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » .

و « المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ولا يخذله » .
والأخوة تتنافى تنافياً مطلقاً مع أى نظام استغلالي ، إنها تتنافى إذن تنافياً تاماً مع التعامل بالربا .

ثم إن طابع الرسالة الإسلامية إنما هو الرحمة :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » .

[سورة الأنبياء : ١٠٧]

والمسلمون فيما بينهم إذن : إخوة متراحمون !

إنهم فيما بينهم عطف وتعون ، ومودة ورحمة ، وكل هذا : طريق غير طريق المرايين .

وبعد ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - فيما رواه الحاكم - :

« أربعة حق على الله ألا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها :

مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم ، والعاق لوالديه » .



قارون

ونصل الآن إلى الموضوع الثالث وهو القواعد التي وضعها الله للأغنياء حتى لا يخسف الله بهم وبدارهم الأرض ، ولقد ذكر القرآن عن ذلك الكثير ، ونحب أن نوجز الأمر ممثلاً في شخصية قارون ونصيحة أهل الصلاح والتقوى .

كان قارون من قوم موسى ، وقد نشأ في ربوع مصر ، وآتاه الله ثراءً عريضاً ، ورزقه من المال ما لا يكاد يحصى ولا يعد ، وهياً له من وسائل الحياة الهائلة وأسبابها الشيء الكثير ، فكان مع ثرائه الواسع قوى الجسم ، وضىء الصورة ، إلى درجة أنه كان يسمى « المنور » .

وكان إلى ذلك طلق اللسان ، جذاب الحديث ، آتاه الله كل ذلك ، وآتاه أكثر من ذلك ، فكان منطق الحكمة أن يؤدي لله حق الشكر على نعمه ، وأن يتصرف فيما منحه الله إياه تصرف المعترف بالفضل الذي لا ينكر الجميل :

ولكن نفسه كانت تتطلع إلى غير ذلك .. لقد أجال بصره في بيئته ، وفي عشيرته ، فلم يجد ما يساعده على أن يكون حاكماً ، أو صاحب ولاية ورئاسة ، فأخذ ينسلخ من عشيرته ، وينفصل عن قومه ، ويتقرب إلى فرعون : يداهنه ، ويتملق كبريائه ، ويتزلف إليه ، حتى أصبح من جلسائه .

وفي فترة من الفترات وجد نفسه ينعم بجاه الثروة ، ويستمتع بجاه السلطان . فانتشى بهذا المجد الزائف ، وملاه الغرور ، واستولى عليه الكبر ، ورسخ في نفسه

أن السعادة إنما هي الثراء والجلوس مع فرعون .

ولما وقر في نفسه ذلك نسي الله أو تناساه ، فتعود عادات الذين لا دين لهم :
ازدراء العشيرة ، واحتقار الفقراء ، ونضوب معين الرحمة من القلب ، واعتبار أن
الحياة الدنيا هي كل شيء ، وأن المثل الأعلى إنما هو الاستمتاع على أى وضع
كان ، وفي أى صورة حدث .

وسارت الحياة به على هذا النمط ، رخاء ، فترة من الزمن ، فاعتقد أنها ستسير
به هكذا إلى النهاية ، ولكن . . .

وفي يوم من الأيام ، بينما كان يجلس قارون مع فرعون وهامان ، دخل موسى
عليه السلام يعرض عليهم الرسالة التي كلفه الله بتبليغها :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ » .

[القصص : ٢٣ ، ٢٤]

لقد كان المنتظر من قارون أن يدافع عن موسى ، إن لم يكن من أجل الحق
الواضح فمن أجل العصبية والجنسية ، ولكنه ضرب بالحق وبالعصبية عرض الحائط ،
وجارى فرعون حرصاً على ماله ، واحتفاظاً بثروته ، وقال كما قال فرعون :
« ساحر كذاب » . .

ومن أجل الإبقاء على ثروته جارى فرعون فى إسرافه وطغيانه ، فقال موافقاً له :

« اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [مَعَ مُوسَى] وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ » .

ولما قال فرعون : « ذروني أقتل موسى » ، لم يحاول قارون الدفاع عن
رسول الله ، وإنما الذى فعل ذلك رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه . .

وارتكب قارون كل ذلك : إيثاراً للمال ، وخوفاً على الثروة من أن يصادرها فرعون لو خالفه فيما يرى من رأى ، وغاب عنه أن الثروة والملك ، والدنيا والآخرة ، بيد الله وحده . . وكما أنه ، سبحانه ، المانع الوهاب ، فإنه تعالى المانع القابض . . ولما رأى بعض الصالحين من قوم قارون أن الثروة والجاه أفسداه تشاوروا فيما بينهم ، واتفقوا على أن يسدوا إليه النصيحة ، فلما اجتمعوا به تلطفوا في القول ما استطاعوا ، وأجملوا النصيحة في أمور خمسة ، هي في الواقع القواعد العامة المثالية لما ينبغي أن يكون عليه الأثرياء ، وهي القانون الذي يجب أن يخضع له أهل الغنى ، قالوا له :

- ١ - إنك مباه بثروتك ، فخور بها ، فرح بكثرة المال ، وما ينبغي أن يكون الفرح بالمال لأنه وسيلة إلى النفع ، فلا تفرح بكثرة المال فرح بطر ، فإن الله لا يحب الفرحين الذين يتمثل فيهم ذلك . . .
- ٢ - وقد آتاك الله المال الكثير المتنوع فابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، واتجه في كل ما تأتى وما تدع إلى تقوى الله ومرضاته .
- ٣ - والدنيا مزرعة الآخرة وطريقها ، فلا تنس نصيبك من الخطوات في هذا الطريق بالعمل الصالح الذى سيكون رصيدك :

« يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » .

٤ - « وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ » :

فاجعل زكاة مالك مساعدة الفقير ، وزكاة قوتك نصرة الضعيف ، وزكاة جاهك معاونة المظلوم حتى يسترد حقه .

٥ - « وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ » :

ولكن هذه المبادئ السامية - التي إذا عممت كانت الدستور لكل صاحب
جاه أو نعمة - لم تلق أذنًا صاغية لدى قارون ، الذى ألهاه التكاثر ، فقال ساخراً
متحدياً لا يبالى :

« إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي » .

لقد أُوتيت هذا المال بسبب تديبى ، وحكمتى ، وحسن تصرفى للأمور ،
وحدى الذى لا يخطئ فى شئون التجارة ، ورأى الصائب فى ارتفاع الأسعار
ونزولها ، وأنكر بذلك أى أثر إلهى للنعمة التى ينعم بها وفيها .

وتناسى قارون وهو فى نشوة الثراء ، وحماسة الجدل : الأخبار الصحيحة
التي تدل على أن الله سبحانه أهلك كل ذى جاه لم يتق الله فيما أنعم به عليه ،
ولم يؤد حق النعمة : مالا كانت أوقوة أو رئاسة :

« أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ
مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا » ؟

[القصص : ٧٨]

وأراد قارون أن يتحدى ، وأن يسخر ، وأن ينعم بالتحدى والسخرية ممن نصحوه ،
فخرج يوماً على قومه ، فى موكب كأبهى ما يكون من الزينة والأبهة ، وكأضوا
ما يكون بريقاً وزخرفاً

لقد خرج على قومه فى زينته ، فى كل زينته ، فمدت إليه الأعين ،
وأخذ بريق الذهب الذى يتحلى به الركب يخطف بالأبصار ، ولمعان الفضة
المحلاة بها سروج الخيل يخلب الأفئدة . .

وتهادى الركب بقارون وهو ينظر يميناً وشمالاً فى كبرياء سافر ، وفى غرور
مكشوف .. ولما رأى هذا المنظر أولئك الذين يسرون بحسب قانون الغرائز ، ويريدون

الحياة الدنيا : فتنهم بريق الذهب ، ولعان الفضة ، وزخرف الموكب ، فقالوا
في شهوة غلابة ، وفي جوع إلى المال نهم :

« يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » .

[القصص : ٧٩]

ولكن الذين هداهم الله إلى صراطه المستقيم ردوا عليهم منبهين :

« وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً » .

[القصص : ٨٠]

وسنة الله لا تتخلف عادة ، نذكر منها فيما نحن بصدد قوله تعالى :

« حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ، وَازَيَّنَّتْ ، وَظَنَّ أَهْلُهَا
أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ، أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً
كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ » .

[يونس : ٢٤]

وقوله تعالى :

« وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ
عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً » .

[الإسراء : ١٦]

وإذا كانت هذه سنة الله في الأرض وفي القرى ، فماذا ينتظر أن تكون في قارون
وأمثاله ؟ .. إنها :

« فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ » .

[القصص : ٨١]

ولما رأى الذين تمنوا مكان قارون بالأمس ما حل به رجعوا إلى الله وأنابوا إليه ،
قائلين :

« وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ،
لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ، وَيَكُنَّا لَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ » .

[القصص : ٨٢]

أما العبرة من كل ذلك فيلخصها القرآن - عند انتهاء قصة قارون - تلخيصاً
جميلاً موجزاً :

« تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » .

[القصص : ٨٣]

وإلى هنا انتهت قصة قارون ، وكان يمكننا أن نقف عند هذا الحد ، ولكن هنا
بعض الطرائف والملاحظات ، يقول الله عن قارون :

« وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ » .

[القصص : ٧٦]

١ - يقول صاحب البحر المحيط :


سميت أمواله كنوزاً لأنها لم تؤد منها الزكاة ، وعلى ذلك فإن الأموال التي تؤدى فيها الزكاة لا تدخل تحت قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ » .

٢ - أما عن المفاتيح التي تنوء بالعصبة أولى القوة فقد قال أبو مسلم رأياً طريفاً جداً في تفسيرها ، وهو أن المراد من المفاتيح العلم والإحاطة ، كما في قوله تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب) . . والمراد : وآتيناه من الكنوز ما إن حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة ، أى هذه لكثرتها ، واختلاف أصنافها تتعب حفظها ، القائمين عليها . . .

٣ - يذكرنا ثراء قارون بأثرياء المسلمين في العصور الماضية ، وكان من هؤلاء عبد الرحمن بن عوف ، ولكنه رضى الله عنه كان يؤدى حق الله في ماله ، حتى لقد تبرع يوماً لفقراء المدينة بقافلة كاملة مكونة من خمسمائة جمل بما تحمل من تجارة .. وإذن ، فالمال إنما يكون فتنة إذا لم يؤد حق الله كاملاً فيه ، وكذلك الأولاد إنما تكون فتنة إذا لم يؤد الوالد حق الله والوطن فيهم ، بتربيتهم خير تربية ..





الفصل الرابع

أبو ذرّ والشيوعية من زاوية الأخلاق

۴

مجله علمی و ادبی

شماره ۱۰۰

فصلنامه علمی و ادبی

۵

مجله علمی و ادبی



تحدثنا فيما سبق عن أبي ذر والشيوعية في العقيدة ، ورأينا أن الشيوعية ليس لها في أبي ذر نصيب ، إذا نظرنا إلى العقيدة ، وأن الوضع بينهما هو الوضع بين الكفر والإيمان ، بين الإلحاد والإسلام .

والآن نتحدث بتوفيق الله تعالى عن أبي ذر والشيوعية فيما يتعلق بموضوع الأخلاق . إن استمداد الأخلاق - أساساً - في الإسلام إنما هو من الركن الأول من العقيدة الإسلامية ، وذلك أن الله تعالى هو الذي رسم الخلق للمسلم ؛ فإذا شهد المسلم أن لا إله إلا الله فإن مما يدخل في نطاق الشهادة أن يلتزم بالخلق الذي رسمه الله تعالى وإلا فإنه لا يكون مسلماً صادقاً .

والأخلاق في الجوا إسلامي مرتبطة بالدين ارتباطاً لا ينفصل : منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر .

إنها جزء من الدين الإسلامي لا يتجزأ ، مصدرها هو مصدره : إلهي رباني . وصفات المؤمنين التي حددها القرآن بأسلوب عربي مبين ، والتي تحدث عنها الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً في أحاديثه الشريفة تتضمن الأخلاق الإسلامية ؛ ومما ورد في ذلك :

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

[النحل : ٩٠]

ولقد أعلن الله تعالى أنه أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم ليبشر بالرحمة للعالمين فقال سبحانه :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » .

[الأنبياء : ١٠٧]

وجوهر الأخلاق الإسلامية هي :

العدل :

الإحسان .

الرحمة .

أما العدل فإنه عام شامل : إنه فرض بالنسبة للأحكام ، سواء أكان المتحاكمون أصدقاء ، أم أعداء ؛ يقول تعالى :

« وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا : اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ » .

[المائدة : ٨]

أما الإحسان فإنه في كل أمر من أمور السلوك الأخلاقي :

إنه مثلاً في العبادة ، والمحسنون يصفهم الله تعالى بقوله :

« كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ . كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » .

[الذاريات : ١٦ : ١٨]

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان في العبادة :
« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

والعبادة هنا هي كل سلوك يهاجر به الإنسان إلى الله : والإنسان يهاجر إلى الله
بتجارته ، ويهاجر إلى الله بصناعته وزراعته :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما أخرجه البخاري ومسلم عن عمر
ابن الخطاب :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله
ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ،
فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وكل هجرة إلى الله عبادة .

والإحسان يكون في الإنفاق ، ومن أمثلته ما وصف الله به المحسنين بقوله :

« وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » .

[الذاريات : ١٩]

والإحسان في العمل إتقانه :

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » .

وكما أن العدل أصل من أصول الخلق الإسلامي ، فإن الإحسان أصل آخر من
أصول الأخلاق الإسلامية .

والرحمة أصل ثالث ؛ وللرحمة في الجوانب الإسلامية مكانة كبرى ، ويمتد محيط

الرحمة حتى تشمل الحيوان :

« والشاة إن رحمتها رحمك الله » .

ويقوم على تحقيق العدل والإحسان والرحمة مبدأ الجهاد الذي جعله الله تعالى من

أهم المبادئ الإسلامية ومن أصلها .

الجهاد بجميع ضروبه :

(أ) جهاد النفس لتتزكى .

(ب) جهاد الأسرة لتستقيم .

(ح) جهاد المجتمع ليقوم على أمر الله .

(د) جهاد الأعداء لتكون كلمة الله هي العليا .

وكان أبوذر رضى الله عنه متجاوباً تجاوباً كاملاً مع الخلق الإسلامى ، إنه كان فى سلوكه مثلاً كريماً للعدل ، والرحمة ، والإحسان ، وكان يروى فى ذلك من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النفيس السامى :

لقد روى حديث الاستمداد من الله والتوجيه إليه ، وهو من الدرر فى هذا المجال ، وقد سبق أن ذكرناه .

وقد روى أبوذر - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :

« يا أبا ذر : إني لأعرف آية لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتمهم :

« وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » .

[الطلاق : ٢ ، ٣]

ويقول أبوذر عن وصية النبي صلى الله عليه وسلم ، له :

« أوصاني بخمس :

أرحم المساكين وأجالسهم .

وأنظر إلى من تحتى ، ولا أنظر إلى من فوقى .

وأن أصل الرحم وإن أدبرت .

وأن أقول الحق وإن كان مرأً .

وأن أقول لا حول ولا قوة إلا بالله » ١ هـ .

وعن أبي ذر قال :

« أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع :

أمرني بحب المساكين ؛ والدنو منهم

وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني .

وَألا أسأل أحداً شيئاً .

وَأَن أصل الرحم وإن أدبرت .

وَأَن أقول الحق وإن كان مرأاً .

وَألا أخاف في الله لومة لائم .

وَأَن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ فإنهن من كنز تحت العرش . »

وهذه أحاديث التزمها أبو ذر وهي من عيون الخلق الإسلامي .

ونقيض هذا : الخلق الشيوعي .

وانظر الآن ما يقوله زعماء الشيوعيين ، وما هو طابع الجو الشيوعي ، يقول أحد

قممهم الشهيرة :

« نحن نكره المسيحية والمسيحيين ، وحتى أحسن المسيحيين خلقاً نعهده شر

أعدائنا ، وهم ييشرون بحب الجيران والعطف والرحمة ، وهذا يخالف مبادئنا ، والحب

المسيحي عقبة في سبيل تقدم الثورة ، فليسقط حبنا لجيراننا ، فإن ما نريده : هو

الكراهية والعداوة ، وحينذاك نستطيع غزو العالم » اهـ .

❖ الإسلام لا الشيوعية :

ويعصور الأستاذ الكبير إسماعيل مظهر ، الأخلاق الشيوعية في عمومها فيقول عن

الطابع العام فيها :

ولا شك في أن للشيوعيين فكرتهم الخاصة في مستوى الأخلاق الذي يلائم

نزعاتهم ؛ ومن أجل ذلك كان مثلهم الأخلاقى مثلاً يمشى إلى النقيض من المثل

الأخلاقية التي سادت مجتمعات الحضارة التي نشأت وربت في ظل الموروثات التي رتبها ونشأها شوامخ المفكرين والمصلحين طوال العصور .

وإن نظرة واحدة في المستوى الأخلاقي لجمعية شيوعية يدلّك على أنه يقوم على النفعية ، والانتهازية ، والمادية الصرفة الموغلة في الخصومة والعناد بحق أو بغير حق ، من غير أن تفرض أن هناك أية قيمة لذلك القانون الأبدى الذي بشرت به كل النفوس الكبيرة للناس :

قانون الصدق ، والحق ، والعدل .

ويقول « هارولد كوكس » :

« لم ينشأ الشيوعى لكى يسمو بالطبيعة البشرية ويعلو بها ، وإنما نشأ ليحطم الرأسمالية ؛ ومن أجل أن يصل إلى هذا الغرض ، فهو يشجع ، أو هو يغتفر كل سلوك وصمه الناس من قبل بأنه إجرامى » ا هـ .

ويقول « هارولد كوكس » فى كتابه « الحرية الاقتصادية » :

« ليس فى تعاليم الشيوعية شىء مثالى أو رفيع ، إنها تستنصر جميع الزوات ، وجميع الرذائل ، كالحسد ، والغيرة ، والشهوة ؛ هى تشجع ، أو على الأقل تجيز الإتلاف والشطط والخلاعة والإدمان ؛ إن غايتها السلب والنهب » ا هـ .

وإن ما أثبتته محاضر قضايا الشيوعية بمصر أن واحدة من « زوجات الدولة » اسمها « ميرى روز نتال » كان لها فى مصر زوجان تختلف إلى كليهما ، وتقاسم كلاهما الفراش حين تشاء أو حين يشاء هو ، ولم تنكر هى أنها « زوجة » لكل منهما ، ولم ينكر أحد منهما أنها « زوجته » ولم ترأو ير أحدهما فى ذلك عيباً ، لأنهم جميعاً « شيوعيون » . أما عن أسلوبهم فى النقد والهجوم ، أو فى الدعوة ضد معارضيتهم فإن الأستاذ « لا فالى » يقول :

« إن لهجة التهيج والحقّد التى يكتب بها الشيوعيون تهارجهم الطنانة ، لأشبه شىء بنغمة الموت عند أكلة لحوم البشر » .

وجو الأخلاق هذا يتبرأ منه زاهدنا الورع الصالح أبو ذر ، بل يلعنه ويحاربه ،
ويضحى بنفسه في مقاومته لو وجد في عهده ؛ إنه جو مختلف تماماً مع روح أبي ذر ،
ومع إيمانه ، ومع أخلاقه الإسلامية المستمدة من الوحي الإلهي المعصوم .

ولقد بينا من قبل التعارض التام بين أبي ذر والشيوعية في العقيدة ، والتعارض
التام بين أبي ذر والشيوعية في النظام المالي ؛ وها هو ذا يتعارض مع الشيوعية تعارضاً
تاماً في الأخلاق .

إنه يتبرأ من الشيوعية جملة وتفصيلاً : إنه مؤمن وهي ملحدة ، وهو يعترف
بالملكية الفردية وهي لا تقرها ، وهو مسلم في خلقه ، وهي ماركسية في أخلاقها : إنه
مسلم والمسلم لا يكون قط مشيوعياً .



الخاتمة

ماذا يمكن أن نقول فى الخاتمة ؟

- ١ - إن أبا ذر مؤمن والشيوعية ملحدة ، وإيمان أبى ذر يقين ، والإحاد الشيوعية يقين . إن الإلحاد جزء من طبيعة الشيوعية ، إنها فتحت معاهد لتعلم الإلحاد ، ولأن الإلحاد لمخزء من طبيعتها فهى تعادى الأديان ، كل الأديان .
- ٢ - وأبو ذر يستمد رأيه وفكرته من تعاليم القرآن الكريم ، وإنجيل الشيوعية هو كتاب رأس المال .
- ٣ - يتخذ أبو ذر رضى الله عنه محمداً صلى الله عليه وسلم ، إماماً ، وأما الشيوعية فيقودهم كالقطيع ماركس اليهودى .
- ٤ - أخلاق أبى ذر هى أخلاق الإسلام : عدالة ، ونصفة ، وتراحم ، ومودة ، وعطف ، وأخوة ، ورحمة ، وإحسان وأخلاق الشيوعية حقد وحث على التطاحن ، وكراهية ، وجاسوسية ، وقتل ، وسفك ، وثنكيل ، ودماء تسيل وقسوة وإرهاب .
- ٥ - والإسلام أساسه الوحي المقدس ، والشيوعية أساسها الصهيونية .
- ٦ - وأبو ذر زاهد زهد المتجردين ، وهو الزهد الاختيارى ، ويدعو إلى هذا النمط من الزهد الاختيارى ، وأما الشيوعية فإنها تغتصب الأرض والمال ، وتقهر أصحابها قهراً ، وإذا تنفس أحدهم بكلمة فجزأؤه القتل أو النفى ، أو الزنزارة .

وبعد : فهذا هي ذى كلمة لها مغزاها العميق قالها الأستاذ « دى جويو »
« لقد نسج الشيوعيون نظرية في السرقة سموها تعويض المحرومين » .
وأما بعد ، أيها القارئ الكريم :

هل فكرت في قوله تعالى :

« وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » ؟

[آل عمران : ١٠١]

وهل فكرت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ؟
وهل فكرت في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً : كتاب الله وسنتي » ؟
ثم .. أما بعد :
يقول الله تعالى :

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ،
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » .

[المائدة : ٣]

صدق الله العظيم ، وبلغ رسوله الكريم ، وأنا على ذلك من الشاهدين .
« وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » .



فهرس

صفحة

مقدمة ٧

الفصل الأول :

أبو ذر والشيوعية من زاوية العقيدة ١١

الفصل الثاني :

الزاهد ١٩

الفصل الثالث :

أبو ذر والنظام المالى فى الإسلام ٢٩

١ - عن الموقف الإسلامى ٣١

٢ - المجتمع الإسلامى والمال ٣٩

• عبد الرحمن بن عوف ٣٩

* أبو عبيدة بن الجراح ٤٢

٣ - قواعد طهر المال ٤٦

• المعانى الإنسانية فى الزكاة ٥٠

* الصدقة ٥٣

• الإيمان والإنفاق فى سبيل الله ٥٧

الصفحة

٦٠ ٤ - الربا.

٦٥ ٥ - قارون

الفصل الرابع :

٧٣ أبو ذر والشيوعية من زاوية الأخلاق

٧٩ الإسلام لا الشيوعية

الخاتمة

٨٣



١٩٩٩/٥٧٣٠	رقم الإيداع
ISBN 977-02-5809-1	الترقيم الدولي

١/٩٩/٤١

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)



يُعَدُّ الإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود صاحب ورائد مدرسة الفكر الإسلامي والتصوف في العصر الحديث ، ولقب بأبي التصوف في العصر الراهن ، فقد أثرى المكتبة العربية بأهمّات الكتب بين تحقيق وتأليف وترجمة ، فمنها دراساته القيمة عن الإمام الغزالي وكتابه « المنقذ من الضلال » ، و « دلائل النبوة » ، و « القرآن في شهر القرآن » إلى جانب ما كتبه عن رواد التصوف على مر العصور الإسلامية المختلفة .

والإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود له عمق وغزارة الآراء الفقهية ودقة الاجتهادات مما جعله يكسب صفوف المعارضين قبل المؤيدين ، إلى جانب اللباقة والدراية الكاملة في عرض أي موضوع أو مسألة تتعلق بأمور الدين ، وأيضا يمتاز بقوة ورصانة الأسلوب والعبارة ، مما يدل على المهارة الفائقة والملكة اللغوية فلهذا اكتسب هذا العالم الجليل احترام كل الفرق والمذاهب الإسلامية في شتى بقاع العالم ، وسيبقى هذا العالم وتراثه في قلوبنا على مر العصور .

٠١/١٦٣٤٠٠



تقديم القائل : محمد أبو طالب